

السيرة النبوية للبراعم

(٤٨)

وَاجِبُنَا نَحْوَ الْمُصْطَفَى ﷺ

الدكتور

محمد عمر الحاجي

مكتبة

مكتبة

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحواسيب الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢

e-mail: almaktabi@mail.sy

دار المكتبي

للطباعة والنشر والتوزيع

www.almaktabi.com

طَاعَةُ الرَّسُولِ ﷺ وَاتِّبَاعُ سُنَّتِهِ

مِنَ الْأُمُورِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْنَا تَجَاهَ نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ ﷺ الْإِيمَانُ بِهِ ، ثُمَّ طَاعَتُهُ وَاتِّبَاعُ سُنَّتِهِ ،
مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ^(١) . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ ^(٢) .

وَبِالتَّالِي فَالْإِيمَانُ بِالرَّسُولِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(٢) التغابن : ١٢ .

الْإِيمَانِ ، دَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّوْا تُهٓ وَسَلَامُهُ
عَلَيْهِ : « أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ ، فَإِذَا
فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا
بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » .

وَيَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ جَمِيعاً أَنَّ عَدَمَ الْإِيمَانِ
بِالرَّسُولِ هُوَ طَرِيقٌ يُوصِلُ الْإِنْسَانَ إِلَى نَارِ
جَهَنَّمَ ، مُصَدِّقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِرْ
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعيراً ﴾ ^(١) .

فَإِذَا آمَنَ الْإِنْسَانُ بِالرَّسُولِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُطِيعَ
أَوَامِرَهُ ، وَيَجْتَنِبَ نَوَاهِيَهُ ، ذَلِكَ لِأَنَّ طَاعَةَ اللَّهِ
مَقْرُونَةٌ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

(١) سورة الفتح : ١٣

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا﴾^(١) .

وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى الطَّائِعِينَ لَهُ بِجَزَائِلِ الثَّوَابِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٢) .

كَمَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ نَقَلَ لَنَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ صُورَةَ مِنْ صُورِ التَّغْذِيبِ فِي دَرَكَاتِ جَهَنَّمَ ، حَيْثُ الْكَفَرَةُ يَتَمَنُّونَ لَوْ أَنَّهُمْ أَطَاعُوا اللَّهَ ، وَأَطَاعُوا رَسُولَهُ : ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾^(٣) .

(١) سورة النساء : ٨٠ .

(٢) سورة النساء : ٦٩ .

(٣) سورة الأحزاب : ٦٦ .

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ نَبَوِيَّةٌ تُبَيِّنُ ذَلِكَ ، مِنْهَا
قَوْلُهُ ﷺ : « مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ
رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا ، فَقَالَ : يَا قَوْمُ ! إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ
بِعَيْنِي ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ ، فَالنَّجَاءُ .

فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَذْلَجُوا^(١) ،
فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا .

وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا ، فَصَبَّحَهُمُ
الْجَيْشُ ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاكَهُمْ ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ
أَطَاعَنِي ، وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي ،
وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ » .

أَجَلْ ! فَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَّبِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
وَيَمْتَثِلَ سُنَّتَهُ ، وَيَقْتَدِيَ بِهَدْيِهِ ، مُصْداقُ ذَلِكَ

(١) أي : ساروا ليلاً .

قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : « فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي ، وَسُنَّةِ
الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا
بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ
مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » .

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ :
« الْقُرْآنُ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ عَلَى مَنْ كَرِهَهُ ، وَهُوَ
الْحَكْمُ ، فَمَنْ اسْتَمْسَكَ بِحَدِيثِي وَفَهِمَهُ ، وَحَفِظَهُ ،
جَاءَ مَعَ الْقُرْآنِ » .

وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْقُرْآنِ وَحَدِيثِي خَسِرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ ، أَمَرْتُ أُمَّتِي أَنْ يَأْخُذُوا بِقَوْلِي ،
وَيُطِيعُوا أَمْرِي ، وَيَتَّبِعُوا سُنَّتِي ، فَمَنْ رَضِيَ
بِقَوْلِي فَقَدْ رَضِيَ بِالْقُرْآنِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا
ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾ .

وَقَدْ ضَرَبَ لَنَا التَّارِيخُ نَمَازِجَ عَمَّا وَرَدَ عَنِ
السَّلَفِ وَالْأَيْمَّةِ فِي ذَلِكَ :

فَذَلِكُمْ الْفَارُوقُ عُمَرُ ، يَنْظُرُ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى
الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، وَيُخَاطِبُهُ قَائِلًا :

وَاللَّهِ ! إِنَّكَ حَجَرٌ لَا تَنْفَعُ ، وَلَا تَضُرُّ ، وَلَوْلَا أَنِّي
رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ . ثُمَّ قَبَّلَهُ .

وَذَلِكُمْ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ رُبِّي ذَاتَ يَوْمٍ يُدِيرُ نَاقَتَهُ
فِي مَكَانٍ ، فَسُئِلَ عَنْهُ ، فَقَالَ : لَا أَدْرِي ؟ إِلَّا أَنِّي
رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَلَهُ ، فَفَعَلْتُهُ .

وَقَدْ بَيَّنَّ الْقُرْآنُ أَنَّ مُخَالَفَةَ أَوَامِرِ الرَّسُولِ ،
وَتَبْدِيلَ سُنَّتِهِ ضَلَالٌ ، وَبِدْعَةٌ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ

(١) سورة الحشر : ٧ .

سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ
الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ
جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١) .

وَقَوْلُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ : « مَنْ رَغِبَ
عَنْ - أَي : أَعْرَضَ - سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » .

* * *

(١) سورة النساء : ١١٥ .

« الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ »

وَمِنَ الْوَاجِبَاتِ عَلَيْنَا يَا أَحِبَّتْنَا الْبَرَاءِمَ تَجَاهَ
رَسُولِنَا ﷺ لَزُومَ مَحَبَّتِهِ ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ
يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ .

مِصْدَاقُ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ :
مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

قَالَ : « مَا أَعْدَدْتُ لَهَا ؟ » .

قَالَ : مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَثِيرَ صَلَاةٍ ، وَلَا صَوْمٍ وَلَا
صَدَقَةٍ ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

قَالَ : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » .

وَمَقْيَاسُ مَحَبَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ هُوَ أَنْ يُحِبَّ
الْمُسْلِمُ الرَّسُولَ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ مَحَبَّتِهِ لِأَقْرَبَائِهِ ،
وَمَالِهِ ، وَأَهْلِهِ ، بَلْ وَنَفْسِهِ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ !!!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ
وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ
تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ
مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ
اللَّهُ بِأَمْرٍ ۖ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ^(١) .

ذَلِكَ لِأَنَّ ثَوَابَ مَحَبَّتِهِ ﷺ لَا يَعْدِلُهُ ثَوَابٌ ،
مِصْدَاقُ ذَلِكَ مَا رُوِيَ : أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي
وَمَالِي ، وَإِنِّي لَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى أَجِيءَ ،
فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ ، وَإِنِّي ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ ، فَعَرَفْتُ

(١) سورة التوبة : ٢٤ .

أَنْتَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ
دَخَلْتُهَا لَا أَرَاكَ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ
فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ۖ ﴾ ^(١) .

وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ الرَّائِعَةِ عَلَى مَحَبَّةِ السَّلَفِ لِلنَّبِيِّ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ :

أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قُتِلَ أَبُوهَا ، وَزَوَّجَهَا
يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : مَا فَعَلَ
رَسُولُ اللَّهِ ؟

قَالُوا : خَيْرًا ، هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تُحِبِّينَ .

قَالَتْ : أَرْوِينِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ

(١) سورة النساء : ٦٩ .

قَالَتْ : كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ^(١) .

وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ أَيْضاً : أَنَّهُ لَمَّا احْتَضَرَ^(٢) بِلَالٌ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، نَادَتْ امْرَأَتُهُ : وَاحْزَنَاهُ! فَقَالَ : لَا
تَقُولِي ذَلِكَ ، بَلْ قُولِي : وَاطْرِبَاهُ! غَدَا أَلْقَى
الْأَجَبَّةَ ، مُحَمَّداً وَحِزْبَهُ .

وَمِنْهَا : لَمَّا أَخْرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ زَيْدَ بْنَ الدِّثْنَةِ مِنَ
الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ ، قَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ : أُنْشِدْكَ اللَّهَ
يَا زَيْدُ! أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً الْآنَ عِنْدَنَا مَكَانَكَ تُضْرَبُ
عُنُقُهُ ، وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ ؟

فَقَالَ زَيْدٌ : وَاللَّهِ! مَا أَحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً الْآنَ فِي
مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ وَأَنِّي جَالِسٌ
فِي أَهْلِي!

(١) أي : هيئته ، ويسيرة .

(٢) أي : لما حضره الموت .

« لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ »

وَمِنَ الْأُمُورِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْنَا يَا أَحِبَّتِنَا الْبَرَاءِمَ
الصَّلَاةَ عَلَى نَبِيِّنَا وَالتَّسْلِيمَ عَلَيْهِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ
قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ^(١) .

حَيْثُ لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ إِذَا لَمْ يُصَلِّ فِيهَا الْمُسْلِمُ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يُصَلِّ
فِيهَا عَلَيَّ ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِي لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ » .

وَبِالتَّالِي ، فَتَوَابُهَا كَبِيرٌ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً ،

(١) سورة الأحزاب : ٥٦ .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ
خَطِيئَاتٍ ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ .

لَكِنْ بِالمُقَابِلِ : « مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ
عَلَيَّ أُخْطِئَ بِهِ طَرِيقُ الْجَنَّةِ » .

نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَنَا بِقِرَاءَةِ سِيرَةِ
المُصْطَفَى ﷺ ، لِتَكُونَ لَنَا قُدْوَةً وَأُسْوَةً ، فَنَعِيشَ
فِي الدُّنْيَا عَلَى مَحَبَّتِهِ ، وَنَمُوتَ عَلَى سُنَّتِهِ ،
وَنُخْشَرَ تَحْتَ لِوَاءِ شَفَاعَتِهِ ﷺ .

* * *

وَصَلَاةُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الزَّهْرَاءِ !

وَفِي الْخِتَامِ لَا نَمْلِكُ إِلَّا أَنْ نُكْثِرَ مِنَ الصَّلَاةِ ،
وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ !

يَا صَاحِبَ السَّيْرِ الْعَطِرَةِ!

يَا حَامِلَ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ!

يَا صَاحِبَ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ!

يَا صَاحِبَ الشَّفَاعَةِ!

يَا صَاحِبَ الْكُوْثَرِ!

يَا مَنْ بُعِثَتْ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ!

سَائِلِينَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا نَقْتَدِي بِهَدْيِكَ ،
وَنَهْتَدِي بِسُنَّتِكَ ، وَأَنْ يُحِينَا عَلَى مَحَبَّتِكَ ،
وَيُمِيتَنَا عَلَى سُنَّتِكَ ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَتِكَ ،
وَأَنْ يَكْتُبَ حَسَنَاتِ هَذَا الْعَمَلِ الْمُتَوَاضِعِ فِي
صَحَائِفِنَا ، عَسَى أَنْ يَغْفَرَ اللَّهُ لَنَا ذُنُوبَنَا ، آمِينَ!

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

* * *